# التعريف بنهج البلاغة في كتاب الشهيد المطهري

تعريب: محمد هادي اليوسفي

لنهج البلاغة شروح كثيرة ومختلفة، بدءاً بشرح الشيخ قطب الدين الراوندي في القرن الخامس وابن ابي الحديد في القرن السادس في عشرين مجلداً وانتهاءاً بشرح الشيخ مغنية في (٤) مجلداً او شرح الشهيد العلاّمة مرتضى المطهّري في مجلد واحد، شرحاً موضوعياً، وبمناسبة شهادة هذا الشيخ الجليل ومرور ألف عام على تأليف نهج البلاغة احببنا ان ننشر لكم ما كتبه هذان المفكّران في مقدمة شرحيهما

× ــ كتاب في رحاب نهج البلاغة، مطبوع.

عن هذا الكتاب الغريب النفيس ..

(( الهادي ))

هذه المجوعة النفيسة والجميلة التي هي الآن بين ايدينا باسم :(( نهج البلاغة)) ، وقد عجز الزمان عن ان يبليها ، بل اصبح الزمان والافكار المستحدثة والنيّرة تزيدها ثمناً وبهاءاً ، هي مجموعة من منتخبات (خطب) و (ادعية) و (وصايا) و (رسائل) و (كلمات قصار) للامام مولى المتقين علي بن ابي طالب عليه افضل الصلاة والسلام ، جمعها السيد الشريف الرضي رضوان الله عليه ، منذ ألف سنة تقريباً .

ولا شك ان علياً (عليه السلام) ــ وهو ربّ البلاغة ــ قد انشأ خطباً كثيرة ، وانه سمع الناس منه في مختلف المناسبات جملاً حكمية كثيرة ايضاً وانه كتب في عهد خلافته رسائل كثيرة ايضاً ، وان الناس كانوا يودون ان يحفظوا ويحافظوا على كثير من كلامه عليه السلام .

كتب المسعودي ، الذي كان يعيش قبل السيد الرضي (ره) بمئة سنة تقريباً (اذ هو من المئة الثالثة واوائل القرن الرابع) في الجزء الثاني من كتابه : (مروج الذهب) بعنوان : (في ذكر لمع من كلامه واخباره وزهده) يقول : (( والذي حفظ الناس من خطبه فى سائر مقاماته ، اربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة ، وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً )) .(١)

ان شهادة عالم خبير ومتتبع كالمسعودي تفهمنا مدى انتشار خطبه عليه السلام ، وقد نقل الينا في كتاب نهج البلاغة : (٢٣٩) خطبة فقط في حين ان المسعودي يعطينا رقماً يصل الى اكثر من : (٤٨٠) خطبة ، ثم يؤكد لنا على علاقة الناس واهتمامهم بحفظها وضبطها .

---

١ــ مروج الذهب/ج ٢ ص٤٣١ ، ولا ادري هل يقصد بالحفظ حفظها في متون الكتب ام عن ظهر قلب ام كليهما؟ ــ المؤلف ــ .

## السيد الرضي ونهج البلاغة :

كان السيد الرضي (ره) مغرماً ببلاغة الامام علي عليه السلام وهو رجل اديب وشاعر عارف بفنون الكلام، وقد قال فيه معاصره الثعالبي : (هو اليوم ابدع ابناء الزمان، وانجب سادات العراق، يتحلّى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بادب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر). (١)

ان السيد الشريف الرضي بما له من غرام بالادب عموماً وبكلام الامام عليه السلام خصوصاً، كان ينظر الى كلامه عليه السلام من ناحية البلاغة والادب، ولذلك كان ينظر في اختياره من كلامه عليه السلام الى هذه الخصوصية اي ان الذي كان يجلب انتباهه من كلامه عليه السلام هو ذلك القسم الذي يمتاز ببلاغة خاصة ومن هنا سمّى مجموعة منتخباته : ((نهج البلاغة)).

ولهذا ايضاً لم يولّ اهتماماً بذكر مآخذه ومداركه، اللهم الاّ في موارد محدودة يذكر فيها بمناسبة خاصة اسم الكتاب الذي ذكرت فيه تلك الخطبة او الرسالة.

نعم، ان المجاميع التاريخية والحديثية يجب ـ في الدرجة الاولى ـ ان تكون الاسانيد والمصادر فيها معلومة واضحة، والاّ فلا اعتبار لها، ولكن اعتبار الآثار الادبية انما هو في جمالها وحلاوتها ولطفها. وفي الوقت نفسه لا نستطيع القول بان السيد الرضي (ره) كان في غفلة عما لهذا الاثر الشريف من اعتبارات تاريخية وغيرها، وانه انما كان متوجهاً الى اعتباره الادبي فحسب.

ومن حسن الحظ ان تعهّد بجمع اسانيده ومصادره رجال آخرون من المتأخرين، ولعلّ اجمعها واوسعها كتاب باسم : (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) يقوم بانجازه في العهد الحاضر فضيلة العلاّمة

١ـ يتيمة الدهر/ج ٣ ص١٣٦ ط محيي الدين.

الحاج الشيخ محمد باقر المحمودي الدشتي ، وقد جمع في كتابه هـذا جميع ما للامام عليه السلام من كلام أعمّ من الخطب والاوامر والكتب والرسائل والوصايا والادعية والكلمات الحكمية القصار ، فهو يشتمل على كتاب : (( نهج البلاغة )) واقسام اخرى لم تقع فيما اختاره السيد الرضي ( ره ) او لم تكن تحت **اختياره** . وقد طبع لحد الآن من هذا الكتاب اجزاء ثمانية ظفر فيها المؤلف بمصادر جميع ما جمعه مما كان في نهج البلاغة او لم يكن ، اللهم الاّ قسماً من كلماته القصار .(١)

ولا يفوتنا هنا ان نقول : ان تأليف مجموعة من كلمات الامام عليه السلام لم يكن منحصراً بالسيد الرضي ( ره ) فحسب ، فقد ألّف رجال آخرون كتباً اخرى اسموها بمختلف الاسماء منها ـ واشهرها ـ كتاب : (غرر الحكم ودرر الكلم ـ للآمدي )(٢) الذي شرحه المحقق السيد جمال الدين الخوانساري ( ره ) المتوفي ١٢٢٥هـ بالفارسية ، وطبعته اخيراً جامعة طهران بعناية الفاضل المتتبّع القدير السيد جلال الدين المحدّث الارموي .

ويذكر الدكتور على النجدي رئيس كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في مقدمته على كتاب : ((علي بن ابي طالب : شعره وحكمه)) بعض النسخ والكتب من هذا القبيل ، بقي بعضها مخطوطاً لم يطبع الى الآن ، وهي :

١ـ دستور معالم الحكم للقضاعي صاحب الخطط .(٣)

---

١ـ وكتاب مصادر نهج البلاغة واسانيده ، للسيد عبد الزهراء الحسيني في اربعة اجزاء كبار . ـ المترجم ـ .

٢ـ ابي الفتح ناصح الدين عبد الواحد الآمدي من مشايخ ابن شهراشوب ، فهو من المئة الخامسة ، بعد السيد الرضي ( ره ) بقليل . ـ المترجم ـ .

٣ـ صاحب ( الشهاب ) المتوفي بمصر ٤٥٤هـ كما في ابن خلكان : ٣ : ٣٤٩ . كتابه تسعة ابواب فيها ألف ومأتا كلمة في الوصايا والامثال والحكم والآداب والعظات والجوابات والادعية والمناجات والمحفوظ من شعره

٢ــ نثر اللئالي ــ ترجمه مستشرق روسي ونشره في مجلد كبير.(١)

٣ــ حكم سيدنا علي عليه السلام ــ نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.(٢)

## ميزتان :

تمتاز كلمات الامام امير المؤمنين عليه السلام منذ اقدم العصور بميزتين تعرف بهما ، وهما : البلاغة ، والشمول . ويكفي كل واحد من هاتين الميزتين فخراً لكلام الامام وشرفاً . ولكن اجتماعهما يعني ورود ذلك الكلام في موارد متفاوتة بل متضادة احياناً ، وهو مع ذلك يحتفظ بمعناه وبلاغته احياناً ايضاً . وهذا هو الذي جعل كلامه عليه السلام قريباً من حدّ الاعجاز ، ومن هنا ايضاً عدّ كلامه عليه السلام في الحد الوسط بين كلام المخلوق وكلام الخالق ، فقالوا فيه : (( هو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق )) .(٣)

---

ــ وتمثيلاته ، معتمداً في ذلك على ما يرويه هو عن مصنّف يثق به ويرتضيه ولكنه يسردها بحذف الاسانيد ، كما في نهج البلاغة . طبع بمصر سنة ١٣٣٢ هـ والخطط هي ( خطط مصر ) على غرار ( خطط الشام ) للمقريزي ، وقد جمع الشيخ اسعد بن عبد القاهر الاصفهاني من علماء الامامية بين كتابي القضاعي ( الشهاب ) في حكم الرسول و ( الدستور ) في كلمات الامير عليه السلام في كتاب واحد سماه ( مجمع البحرين ومطلع السعادتين ) كما في مصادر نهج البلاغة للحسيني ج ١ ص ٦٦ ــ ٦٨ ــ المترجم ــ .

١ــ هو اسم لكتابين ، احدهما لأمين الاسلام الشيخ الطبرسي صاحب التفسير المتوفى ٥٤٨ هـ على حروف الهجاء مطبوع على الحجر بايران سنة ١٣١٢ هـ ومنه نسخة مذهّبة في مكتبة الكونكرس بامريكا في واشنطن في ١٧ ورقة . والنسخة الاخرى للسيد عزّ الدين الحسيني الراوندي ، والنسخة التي بدار الكتب المصرية مكتوبة بالمداد الابيض على الذهب ، ولا يدرى لايهما هي؟ ونسخة اخرى في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنوّرة برقم ( ٣٢ ) اخلاق ومواعظ

## ١ــ الفصاحة والجمال :

لا تحتاج هذه الميزة في نهج البلاغة الى التوضيح لمن كان عارفاً بفنون الكلام وجمال الكلمة ، فان الجمال يدرك ولا يوصف. ان لنهج البلاغة اليوم وبعد اربعة عشر قرناً من عهده نفس الحلاوة واللطف الذي كان فيه للناس على عهده ، ولسنا نحن الآن في مقام اثبات هذا الكلام ، ولكنا ــ بمناسبة البحث ــ نورد هنا كلاماً في مدى نفوذ كلامه عليه السلام في القلوب ، وتأثيره في تحريك العواطف والاحاسيس ، والمستمر من لدن عهده الى اليوم مع كل ما حدث من تحوّل وتغيير في الافكار والاذواق . ولنبدأ بعهده.

لقد كان اصحابه عليه السلام ــ خصوصاً من كان منهم عارفاً بفنون الكلام مغرمين بكلامه ، منهم : ( ابن عباس) الذي كان ــ كما ذكر الجاحظ في : ( البيان والتبيين) ــ من الخطباء الاقوياء على الكلام[1] فانه لم يكن يكتم عن غيره شوقه الى استماع كلامه والتذاذه بكلماته عليه السلام ،

---

ــ كما في مصادر نهج البلاغة للحسيني/ج ١ ص٧١ــ٧٢ــ المترجم ــ.

٢ــ الموجود بدار الكتب المصرية كتاب باسم منتخب وصايا امير المؤمنين وحكمه ،وهو مرتّب على حروف المعجم ،كما في مصادر نهج البلاغةللحسيني/ ج١ ص٧٩ ،وقد ذكر السيد الحسيني في مصادر نهج البلاغة/ج١ ص٤٣ــ ٨٦ ، ٢٢ كتاباً ألّف قبل النهج و٢٦ كتاباً آخر ألّف بعد النهج ،وفي/ ص٢٦٦ ، ٢٧١ خمسة مستدركات على النهج . المترجم.

٣ــ ابن ابي الحديد في مقدمته/ ص٢٤ ج ١ ط ابو الفضل.

---

١ــ البيان والتبيين/ج ١ ص٢٣٠.

حتى انه حينما انشأ الامام خطبته المعروفة بالشقشقية كان حاضراً ، فقام الى الامام عليه السلام رجل من اهل السواد ـ اي العراق ـ وناوله كتاباً فقطع بذلك كلام الامام ، فقال ابن عباس : (( يا امير المؤمنين ! لو أطّردت خطبتك من حيث افضيت )) فقال عليه السلام : (( هيهات ! انها شقشقة هدرت ، ثم قرّت )) ولم يطّرد في كلامه ذاك ، فكان ابن عباس يقول: ( والله ما ندمت على شيء كما ندمت على قطعه هذا الكلام ) .

وكان يقول في كتاب بعث به اليه الامام عليه السلام : (( ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام ))[1]

وكان معاوية بن ابي سفيان ـ وهو ألدّ اعدائه ـ معترفاً بفصاحته وجمال اسلوبه :

فقد ادبر محقن بن ابي محقن عن الامام عليه السلام واقبل على معاوية وقال له ـ وهو يريد ان يفرّح قلبه الفائر بالحقد على الامام عليه السلام ـ جئتك من عند اعيا الناس ! .

وكان هذا التملّق من القبح بمكان لم يقبله حتى معاوية ، فقال له : ويحك ! كيف يكون اعيا الناس؟ ! فو الله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره !.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أ ـ النفوذ والتأثير :

كان الذين يجلسون الى منبره فيستمعون اليه يتأثرون بكلامه كثيراً اذ كانت مواعظه تهزّ القلوب وتسبل الدموع . والآن ايضاً من ذا يسمع وعظه او يقرأه فلا يهزّ له؟ وهذا السيد الرضي ( ره ) يقول بعد نقله الخطبة المعروفة بالغرّاء :[2]

---

١ـ نهج البلاغة ـ الرسائل ـ رقم : ٢٢ ص ١٤٠ ج ١٥ من شرح النهج لابن ابي الحديد / ط ابو الفضل .

٢ـ الخطبة : ٨٢ ص ٢٧٦ـ ٢٤١ ج ٦ من شرح النهج لابن ابي الحديد ، بتحقيق محمد ابو الفضل .

(( وفي الخبر انه عليه السلام لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود ، وبكت العيون ، ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه الخطبة : (( الغرّاء )) .

وكان همام بن شريح من اصحابه عليه السلام من اولياء الله واحبائه متيّم القلب بذكره ، فطلب من الامام عليه السلام باصرار ان يرسم له صورة كاملة للمتقين ، وكان الامام عليه السلام يخاف عليه ان لا يتحمّل سماع كلماته ، فاقتصر على جمل مقتضبة اذ قال : (( اتق الله يا همام واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون )) ، ولكن لم يقنع بهذا همام بل ازداد شوقه الى كلامه عليه السلام اواراً وضرماً ، فأصرّ عليه اكثر من ذي قبل حتى أقسم عليه ! فبدأ الامام عليه السلام خطبة عدّ فيها : ( ١٠٥ ) من اوصاف المتقين [1] وكلما ادام الامام كلامه وصعد في صفات المتقين ازداد اضطراب نفس همام كانها طير يحاول ان يكسر قفصه فيخرج منه ؟ وفجأة قرعت اسماع الحاضرين صرخة مهولة جلبت انظارهم الى صوب همام ولم يكن الصارخ سوى همام ، فلما وقفوا عليه رأوا ان روحه قد خرجت من جسمه الى رحمة الله ورضوانه . فقال الامام عليه السلام : (( اما والله لقد كنت اخافها عليه . ثم قال : هكذا تفعل الموعظة البليغة باهلها )) .

نعم ، هكذا كان اثر نفوذ كلام **الامام عليه** السلام في نفوس سامعيه.

ب ـ قالوا فيه :

كان عليّ عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي اهتم الناس بحفظ كلماته عليه السلام وضبطها في بطون الصحائف والقلوب .

فهذا ابن ابي الحديد ينقل لنا عن الكاتب عبد الحميد بن

---

١ـ الخطبة : ١٨٦ ص١٤٩ ـ ١٣٢ ج ١ من شرح النهج لابن ابي الحديد ط ابو الفضل .

يحيى [1] الذي كان يضرب به المثل بالكتابة والخطابة في اوائل القرن الثاني الهجري، انه كان يقول: ((حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع فغاضت ثم فاضت إ.

وينقل الدكتور علي النجدي: ان عبد الحميد سئل انّى لك هذه البلاغة؟ فقال: ((حفظ كلام الاصلع)) [2]

وكان عبد الرحيم بن نباتة وهو الذي كان يضرب به المثل في خطباء العرب في العهد الاسلامي، يعترف بانه انما اخذ ما له من ذوق وفكر وادب عن الامام عليه السلام ويقول ـ على ما نقله ابن ابي الحديد في مقدمته لشرح النهج: ((حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق الا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب عليه السلام)).

وكان الجاحظ ـ وهو الاديب العارف بالكلام وفنونه، والذي يعدّ نابغة في الادب في اوائل القرن الثالث الهجري، ويعدّ كتابه (البيان والتبيين) احد اركان الادب الاربعة. [3] ـ يكرر في كتابه الاعجاب والثناء على كلام الامام عليه السلام.

ويبدو من كلامه انتشار كلمات كثيرة عن الامام عليه السلام بين الناس في عهده.

ينقل الجاحظ في الجزء الاول من: (البيان والتبيين) [4] آراء الناس في الثناء على السكوت وذمّ كثرة الكلام، فيعلّق عليها يقول:

---

١ـ كان كاتباً لمروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين، من اصل ايراني وهو شيخ ابن المقفّع العالم والكاتب الشهير في الدولة العباسية، وقد قيل فيه: بدأت الكتابة بعبد الحميد واختتمت بابن العميد، وزير البويهيين. المؤلف.

٢ـ الاصلع: من انحسر شعر مقدمة رأسه، فعبد الحميد مع اعترافه بكلامه هذا بفضل الامام (ع) وكماله، يذكر الامام بنبز اللقب وذلك بحكم انتمائه الى بني امية إ. المؤلف.

٣ـ والاركان الثلاثة الاخرى هي: ادب الكاتب لابن قتيبة والكامل

(( الاسهاب المستقبح هو التكلّف والخطل المتزايد ، ولو كان هذا كما يقولون لكان علي بن ابي طالب عليه السلام وابن عباس اكثر الناس فيما ذكروا )) .

وفي نفس الجزء الاول ينقل هذه الكلمة المعروفة عن الامام عليه السلام : (( قيمة كل امرء ما يحسنه )) ثم يثني على هذه الجملة ما يبلغ نصف صفحة الكتاب ويقول : .

((فلو لم نقف من كتابنا هذا الاّ على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصّرة عن الغاية . وكأن الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله)) .

وللسيد الشريف الرضي( ره ) جملة معروفة في وصف كلام الامام عليه السلام وثنائه عليه ، يقول :

((كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة ومورّدها ومنشأ البلاغة ومولدها ،ومنه ظهر مكنونها ، وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا ، وقد تقدّم وتأخّروا ، لان كلامه عليه السلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي )) (١)

---

ـ للمبرّد ،والنوادر لابي علي القالي ـ ابن خلدون ـ ٤ـ البيان والتبيين/ ص٢٠٢ .

---

١ـ ص٤٥ ج ١ من شرح النهج لابن ابي الحديد ط ابو الفضل

وكان ابن ابي الحديد من علماء المعتزلة في القرن السابع الهجري اديباً ماهراً وشاعراً بليغاً ، وهو كما تعلم مغرم بكلام الامام عليه السلام مكرراً اعجابه به في كتابه ومقدمته :

(( واما الفصاحة : فهو عليه السلام امام الفصاحة وسيد البلغاء ، وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة ... وحسبك انه لم يذون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله ابو عثمان الجاحظ في كتاب : ( البيان والتبيين ) وفي غيره من كتبه . (١)

وفي الجزء السادس عشر من شرحه عند شرحه رسالة الامام عليه السلام الى ابن عباس بعد مقتل محمد بن ابي بكر واغتصاب مصر بيد اصحاب معاوية ، اذ يكتب الى البصرة يخبره بالخبر ، يقول :

(( انظر الى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمانها واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضاً كيف تؤاتيه وتطاوعه سلسة سهلة ، تتدفق من غير تعسّف ولا تكلّف ... فسبحان الله من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ! ان يكون غلام من ابناء عرب مكة ينشأ بين اهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الالهية من افلاطون وارسطو ، ولم يعاشر ارباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية ــ لان قريشاً لم يكن احد منهم مشهوراً بمثل ذلك ــ وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط ، ولم يربُ بين الشجعان ــ لان اهل مكة كانوا ذوى تجارة ولم يكونوا ذوي حرب ــ وخرج أشجع من كل بشر مشى على الارض ، قيل لخلف الاحمر : أيما أشجع : عنبسة وبسطام أم علي بن ابي طالب ؟ فقال : انما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس ، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة ! فقيل له : فعلى كل حال ؟ قال : والله لو صاح في وجهيهما لماتا قبل ان يحمل عليهما ، وخرج افصح من سحبان وقس ، ولم تكن قريش بأفصح العرب ، كان غيرها أفصح

١ــ مقدمته/ج ١ ص٢ ٢ ط ابو الفضل .

منها ، قالوا : افصح العرب جرهم وان لم تكن لهم نباهة ، وخرج ازهد الناس في الدنيا واعطفهم ، مع ان قريشاً ذوو حرص ومحبة للدنيا ، ولا غرو فيمن كان محمد صلّى الله عليه وآله مربّيه ومخرجه ، والعناية الالهية تمدّه وترفده : ان يكون منه ما كان)) .(١)

## ج ـ نهج البلاغة ومجتمعنا اليوم :

لقد تبدّلت الالوان في هذا العالم اليوم عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرناً ، وتطوّرت المعارف والثقافات وتغيّرت الاذواق ، فقد يزعم الواهم ان المعارف والاذواق القديمة كانت تتقبّل مقال الامام عليه السلام وتخضع له ، اما الافكار والاذواق الحديثة فهي تحكم بغير ذلك! ولكن يجب علينا ان نعلم : ان مقال الامام عليه السلام سواء من حيث اللفظ او المعنى لا يتحدد بالزمان والمكان ، بل هو عالمي وانساني ما بقي الانسان انساناً في العالم ، وسنبحث نحن في هذا الشأن فيما بعد ، ولكنا كما سردنا بعض ما قالوه في مقاله عليه السلام في القديم نعكس الآن هنا قليلاً مما قال فيه ذوو الانظار والافكار في عصرنا هذا ايضاً .

كان الشيخ محمد عبده المفتي الاسبق للديار المصرية ـ ممن قرّبته الصدفة حين ابتعاده عن الوطن من معرفة : (نهج البلاغة) وجرّته هذه المعرفة الى الشوق ، الى ان يشرح هذه الصحيفة المقدّسة وينشرها بشرحه بين شباب امّته : ، انه يقول في مقدمته لشرحه : (( وبعد ، فقد اوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب : ( نهج البلاغة ) مصادفة بلا تعمّل ، اصبته على تغيّر حال وتبليل بال ، وتزاحم اشغال ، وعطلة من اعمال ..))[٢]

والدكتور علي النجدي رئيس كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في مقدمة كتاب : (علي بن ابي طالب ، شعره وحكمه) كتب على نثر الامام

---

١ـ شرح النهج لابن ابي الحديد / ج ١٦ ص١٢٧ ط الحلبي .
٢ـ مقدمة عبده / ص١ ، وبهامشه : يقال : كان ذلك حين كان الاستاذ الامام منفياً في بيروت .

عليه السلام يقول : (( في هذا الكلام موسيقى موقعة تأخذ القلب اخذاً وفيه من السجع المنتظم ما يصوغه شعراً )) .

ثم ينقل عن قدامة بن جعفر انه كان يقول : (( جلّت طائفة في القصار وطائفة في الطوال ، اما علي فقد برّ اهل الكلام جميعاً في القصار والطوال ، وفي سائر الفضائل )) .

وينقل الدكتور طه حسين الاديب والكاتب المصري الشهير في كتابه : (علي وبنوه) خبر الرجل الذي تردد في يوم الجمل في امر علي عليه السلام وطلحة والزبير وعائشة ، يقول في نفسه : كيف يمكن ان يكون مثل طلحة والزبير وعائشة على الخطأ؟ ! وشكا شكّه ذلك الى الامام علي عليه السلام وسأله : أيمكن ان يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على باطل ؟ .

فقال عليه السلام : (( انك لملبوس عليك ، ان الحق والباطل لا يعرفان باقدار الرجال ، اعرف الحق تعرف اهله ، واعرف الباطل تعرف اهله )) .

يعني : انك في ضلال بعيد ، اذ انك قلبت في قلبك بشكك هذا مقاييس الامور ، فبدل ان تجعل الحق والباطل مقياساً لعظمة الافراد وحقارتهم ، جعلت العظمة المزعومة مقياساً لمعرفة الحق والباطل ! اردت ان تعرف الحق بمعرفة اقدار الرجال ! كلاّ ، بل اقلب هذا المقياس ، فابدأ بمعرفة الحق وحينئذ تعرف اهله ، واعرف الباطل وحينئذ تعرف اهله ، وحينئذ لا تبالي من يكون الى جانب الحق او الباطل ، ولا ترتاب من اقدار الرجال .

وبعد ان ينقل الاستاذ هذه الكلمات عن الامام عليه السلام يقول:

(( ما اعرف جواباً اروع من هذا الجواب الذي لا يعصم من الخطأ احداً مهما تكن منزلته ولا يحتكر الحق لاحد مهما تكن مكانته بعد ان سكت الوحي وانقطع خبر السماء .

وامير البيان شكيب ارسلان ، من كتّاب العرب المعروفين في هذا العصر ، يتفق في الحفل الذي اقيم تكريماً له في مصر ان يرقى احد الحاضرين

المنصّة ويقول فيما يـقول :

(( رجلان في التاريخ يستحقان ان يلقّبا بلقب: ( امير البيان) : امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وشكيب ارسلان )) ! .

فيقوم شكيب ارسلان من مجلسه غاضباً ويذهب الى المنصّة فيعتـب على صديقه الذي عمل هذه المقارنة بينه وبين الامام عليه السلام ويقول :

(( اين انا واين علي بن ابي طالب! انا لا اعد نفسي شسع نعل لعلي عليه السلام )) ! .(١)

وكتب ميخائيل نعيمة الكاتب اللبناني المسيحي المعاصر في مقدمة كتاب : ( الامام علي صوت العدالة الانسانية) لجورج جرداق ، يقول :

بطولات الامام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء رأيه ، وطهارة وجدانه ، وسحر بيانه ، وعمق انسانيته ، وحرارة ايمانه ، وسمو دعته ، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم ، وتعبّده للحق اينما تجلّى له الحق .

ولا نطيل اكثر من هذا بنقل ثناء الناس على كلام الامام عليه السلام ونختمه بكلمة منه في هذا الموضوع :

قام يوماً احد اصحاب الامام عليه السلام ليتكلّم ، فتلجلج وأعيى ! فقال الامام عليه السلام :

(( ألا وان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا اتّسع، وانّا لامراء الكلام وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدّلت غصونه )) .

---

١ــ نقل هذا الخبر العالم المعاصر الاستاذ الشيخ محمد جواد مغنية العاملي في الحفل الذي اقيم تكريماً له في مدينة مشهد الامام الرضا عليه السلام قبل عدة اعوام . ــ المؤلف ــ .

وينقل الجاحظ في: (البيان والتبيين) [1] عن عبد الله بن الحسن (المحض) بن الحسن بن علي عن الامام عليه السلام، انه قال:

((خصصنا بخمس: فصاحة وصباحة، وسماحة ونجدة وحظوة)).

وسنرد الآن في مباحث الميزة الثانية لكلام الامام عليه السلام وهي (الشمول) وهو الاصل في هذا الفصل:

٢ـ الشمول والاستيعاب:

لكل امة آثار ادبية يعتبر بعضها من نماذج العبقريات، قلّت او كثرت ولا علينا الآن ان نبحث حول عبقريات الادب القديم في اليونان وغيرها، او عن عبقريات الادب الحديث في ايطاليا وبريطانيا وفرنسا وغيرها، وندع الحكم والكلام في شأنها على العارفين بها الذين ينبغي لهم ان يحكموا لها او عليها.

ونقصر كلامنا على العبقريات الادبية العربية والفارسية الموجودة بين ايدينا، والتي نستطيع ان ندركها ونفهمها قليلاً او كثيراً.

ولا نريد ان ننازع الادباء الفنّانين في حق الحكم في العبقريات الادبية العربية والفارسية لها او عليها، ولكن من المقطوع به عند الجميع: ان كل واحدة من هذه العبقريات الادبية انما هي في فنّ خاص من الادب لا في جميع الفنون. وبعبارة اخرى: ان كل عبقري من ارباب هذه العبقريات انما استطاع ان يبدي مهارته في فنّ خاص، وان استعداد كل واحد منهم كان محدوداً بذلك الفنّ فحسب، بحيث اذا اراد احدهم ان يخرج من حدود قدرته سقط في فنّه.

وفي الفارسية عبقريات ادبية: في الحكمة والموعظة، والنصح، والامثال والحرب والحماسة، والقصائد والرباعيات، والغزل والنسيب

---

١ـ البيان والتبيين/ج ٢ ص٩٩.

والتشبيب العرفاني وغيره ، وغيرها . ولكن كما نعلم لم يستطع احد من شعراء الادب الفارسي ان يبدي عبقريته في جميع هذه الفنون والاغراض والمقاصد المختلفة .

فالكاتب والشاعر الايراني الشهير سعدي الشيرازي يُعرف بالعبقرية في الحكمة والموعظة ، والفردوسي في الحرب والحماسة ، والمولوي في الامثال والافكار الروحية والمعنوية الدقيقة ، والخيّام في التشاؤم الفلسفي ، وحافظ الشيرازي في الغزل والنسيب والتشبيب العرفاني وغيره ، والنظامي الكنجوي في فنّ آخر ، وهكذا . ولهذا لا يمكن ان نقيس بعضهم ببعض ولا ان نرجّح بعضهم على بعض ، وليس لنا — على الاكثر — الاّ ان نقول : لكل واحد من هؤلاء المقام الاول في فنّه بحيث اذا خرج احد هؤلاء النوابغ عما لهم القدرة فيه لوحظ بين نوعي كلامه تفاوت كبير .

وكذلك كان شعراء العرب في الجاهلية والاسلام .

وقد جاء في نهج البلاغة : (( وسئل عن اشعر الشعراء )) فقال عليه السلام : (( ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها ، فان كان لابدّ فالملك الضليل )) .(١)

وينقل ابن ابي الحديد في شرحه في شرح هذه الجملة خبراً مسنداً حولها يقول : (( كان علي بن ابي طالب عليه السلام يعشّي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم ، فاذا فرغوا خطبهم ووعظهم . فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم ، فلما فرغوا خطبهم عليه السلام ، وقال في خطبته : (( اعلموا : ان ملاك امركم الدين ، وعصمتكم التقوى ، وزينتكم الادب ، وحصون اعراضكم الحلم )) ثم قال : قل — يا ابا الاسود — فيم كنتم تفيضون فيه ، أيّ الشعراء أشعر ؟ فقال : يا امير المؤمنين! الذي يقول :

---

١ــ الحكمة : ٤٦١ ص١٥٣ ج ٢٠ شرح النهج لابن ابي الحديد ط ابو الفضل .

ولقد اغتدى يدافع ركني ... اعوجي ذو ميعة اخريج
مخلط مزيل معن مفن ... منفع مطرح سبوح خروج

يعني ابا داود الايادي.

فقال عليه السلام: ليس به. قالوا: فمن يا امير المؤمنين؟ فقال: لو رفعت للقوم غاية فجرّوا اليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن ان يكن، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة. قيل: من هو؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح. قيل امرؤ القيس يا امير المؤمنين؟ قال: هو))[1]

وسئل يونس النحوي: من اشعر الشعراء في الجاهلية؟ فقال: ((امرؤ القيس اذا ركب، والنابغة اذا هرب، وزهير اذا رغب، والاعشى اذا طرب)).

يقصد ان لكل شاعر من هؤلاء الشعراء نبوغه في فنّه الخاص، وان عبقرياتهم انما هي في فنونهم الخاصة، فكل واحد منهم اشعر الشعراء في فنّه، وليس لاحدهم نبوغ في غير فنّه.

الامام عليه السلام في ميادين مختلفة:

من المميزات السامية في كلمات الامام عليه السلام المجموعة باسم: ((نهج البلاغة)) والتي هي بين ايدينا اليوم: انها لا تحدد بصعيد واحد، فانه عليه السلام لم يكن فارس الحلبة في ساحة واحدة، بل انه صال وجال ببيانه في ميادين مختلفة لا يجتمع بعضها مع الآخر في الرجل الواحد.

ان نهج البلاغة عبقرية ولكنها ليست عبقرية واحدة في موضوع واحد كالموعظة مثلاً او الحماسة فقط، بل في اصعدة مختلفة سنشرحها فيما يأتي.

---

١ــ شرح النهج لابن ابي الحديد/ج ٢٠ ص٤ــ ١٥٣.

ان تكون كلمة من العبقريات في موضوع واحد ليست كثيراً ولكنها توجد على اي حال . او ان تكون الكلمات في مختلف الموضوعات ولكنها عادية من دون عبقرية ايضاً كثيرة . اما ان تكون الكلمات من العبقريات ومع ذلك لا تكون محدودة بصعيد واحد فتلك من خصائص نهج البلاغة فقط .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

طبعاً اذا تجاوزنا عن القرآن الكريم ـ الذي هو كتاب من نوع آخر فأيّ كتاب آخر نستطيع ان نجده متنوعاً في العبقريات البلاغية على مدى ما فيّ نهج البلاغة " ؟ ! .

ان الكلمة مرآة الروح الانسانية ، ولذلك فان كل كلمة تتعلّق بنفس العالم الذي يرتبط به روح صاحبها ، فالكلمات التي تتعلّق بعوالم عديدة تكون علامة على ذلك الروح الذي لم ينحصر في عالم واحد .

وحيث ان روح الامام عليه السلام لا تتحدد بعالم خاص بل هو ذلك الانسان الكامل الجامع لجميع مراتب الانسانية والروحية والمعنوية ، فلا تخصّ كلماته ايضاً بعالم واحد .

ان من مميزات كلام الامام عليه السلام انه ذا ابعاد متعددة وليس ذا بعد واحد .

وان هذه الخصيصة : خصيصة الشمول والاستيعاب في كلام الامام عليه السلام ليس مما اكتشف حديثاً ، بل هو أمر كان يبعث على العجب منذ اكثر من ألف عام ، فهذا السيد الشريف الرضي ( ره ) الذي هو من علماء الامامية في المئة الرابعة اي قبل ألف سنة ، يلتفت الى هذه النقطة فيعجب بها ويقول :

(( ومن عجائبه التي انفرد بها وامن من المشاركة فيها : ان كلامه الوارد في الزهد والموعظة والتذكير والزواجر اذا تأمله المتأمل وفكّر فيه المفكّر ، وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك في انه كلام من لاحظ له في غير الزهادة

ولا شغل له بغير العبادة ، قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل ، لا يسمع الاّ حسّه ولا يرى الاّ نفسه ، ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه فيقطّ الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهّاد ، وبدل الابدال ! وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بينها بين الاضداد وألّف بين الاشتات. وكثيراً ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها . وهي موضع العبرة بها والفكر فيها )) .(١)

وقد اعجب الشيخ محمد عبده بهذا ايضاً ، حيث ان القارئ في نهج البلاغة يسير به في عوالم عديدة وقد ابدى اعجابه بهذا في مقدمته فقال :

(( فتصفحّت بعض صفحاته ، وتأمّلت جملاً من عباراته ، من مواضع مخلّفات ، ومواضع متفرقات ، فكان يخيّل لي في كل مقام ان حروباً شبّت وغارات شنّت ، وان للبلاغة دولة وللفصاحة صولة .. وان مدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام . بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحسّ بتغيير المشاهد وتحوّل المعاهد )) .(٢)

وقال صفى الدين الحلّى ــ المتوفى فى القرن الثامن الهجرى ــ بهذا الصدد :

جمعت في صفاتك الاضداد ... ولهذا عزّت لك الانداد
زاهد حاكم! حليم شجاع ! ... فاتك ناسك! فقير جواد!
شِيَمٌ ما جمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهنّ العباد
خلق يخجل النسيم من اللطف ... وبأس يذوب منه الجماد
جلّ معناك ان يحيط به الشعر ويحصي صفاتك النقّاد[3]

---

١ــ شرح النهج لابن ابي الحديد /ج١ ص٤٩ .
٢ــ مقدمة عبده/ج١ص .
٣ــ ديوان صفي الدين الحلّي ــ حرف الدال .

وبعد كل هذا نقطة اخرى وهي : ان الامام عليه السلام مع انه انما تكلّم حول المعاني الحقّة والواقعية بلغ ببلاغته الرائعة اوج العظمة والكمال !.

ان الامام عليه السلام لم يتكلّم في الفخر او الخمر او الشعر وهي ساحات واسعة للخيال وللوصف الفصيح ، ولم يقل ما قاله ليكون مقالاً جميلاً يضرب به الامثال فيبدي بذلك مهارته الفنيّة في الكلام ، كلاّ ، اذ لم يكن الكلام هدفاً له بل وسيلة الى اهدافه ، انه لم يرد ان يخلف لنا بمقاله اثراً فنياً او يبدي عبقرية ادبية . واكثر من هذا : ان كلامه عام غير محدود بحدود الزمان او المكان او الاشخاص بشكل خاص بل هو يخاطب ( الانسان ) ، ولذلك فكلامه لا يعرف حدّاً للزمان او المكان .. وكل هذه الامور مما يقيّد القائل ويضيّق موضوع مقاله .

ان العمدة في الاعجاز اللفظي للقرآن الكريم هي : ان الفصاحة والجمال فيه مما اعجز الانسان العربي ، مع ان موضوع مطالبه كان يغاير الكلام المتداول في عصره ، متعلّقاً بعالم آخر غير هذا العالم ، ومع ذلك اصبح مفتتح عهد جديد للادب في العرب بل العالم .

وقد تأثر به ( نهج البلاغة ) في هذه الناحية ايضاً كسائر الخصائص والصفات ، فهو في الحقيقة وليد القرآن الكريم ومن كلمات وليد البيت العظيم ( الكعبة المعظّمة ) علي عليه السلام .

## نظرة عامة في مباحث نهج البلاغة :

ان المباحث المطروحة في نهج البلاغة والتي صبغت هذه الكلمات السماوية بصبغة مختلفة في كل فصل عن الفصل الآخر كثيرة . وانا لا ادّعي اني استطيع ان ادرس نهج البلاغة دراسة تحليلية عميقة كما هو حقّه ، ولكنني اقصد ان انظر الى نهج البلاغة بهذه النظرة التحقيقية والتحليلية ولا أشكّ ان سيجد نهج البلاغة في المستقبل من سيؤدي حقّه في التحقيق

والمباحث الهامة التي يستحق كل واحد منها البحث والتحقيق، هي كما يلي:

١ـ مباحث التوحيد، وما وراء الطبيعة.
٢ـ نظام العبادات.
٣ـ نظام الحكم والادارة.
٤ـ اهل البيت عليهم السلام والخلافة.
٥ـ المواعظ والحكم.
٦ـ الدنيا، والزهد فيها.
٧ـ الحرب والحماسة.
٨ـ الملاحم والمغيّبات.
٩ـ الادعية والمناجاة.
١٠ـ الانتقاد والشكوى من الناس.
١١ـ القواعد الاجتماعية في نهج البلاغة.
١٢ـ الاسلام، والقرآن في نهج البلاغة.
١٣ـ الاخلاق وتهذيب النفس.
١٤ـ الشخصيات في نهج البلاغة.

× ×